المحاضرة 12

مذبحُ البخور

أصدقائي الأعزّاء، أهلًا بكم في محاضرتنا هذه عن خيمة الاجتماع. الجزء من الكتاب المقدّس المرتبط بدراستنا هو من خروج 30: 1–10 وخروج 30: 34–38. لكنّي أقترح عليكم أيضًا أن تأخذوا الوقت لقراءَة لاويين 16. وأثناء قراءَتكم لهذه الآيات، ستتذكّرون الغرض الكامل من خيمة الاجتماع. فقد ذكر الربُّ مرّتين: "هنا ألتقي بكم." ولكن لكي يلتقي بهم، فكّر ووفّر لنا الطريقة الوحيدة الممكنة التي يمكن لهذا الإله القدّوس أن يلتقي بنا من خلالها، ونحن خطاة حقيرون ومُذنبون.

هذه الطريقة مُبيّنة لنا في خيمة الاجتماع: إنجيل العهد القديم. لقد أعدّ الله بغنى كلّ ما نحتاجه في ابنه العظيم، يسوع المسيح. تأملنا سابقًا عن الباب الواسع بما يكفي لكلّ العالم، ولأعظم الخطاة. ورأينا الدم يُسفك فداءً عن الخطاة المذنبين على المذبح النحاسيّ. ورأينا الروح القدس يُسكَب لتطهير أشد الخطاة دَنَسًا، من خلال المرحضة. وفيها، رأينا النور يُشرق في الخطاة المستنيرين وسط ظلام روحيّ كامل، من خلال المنارة. وفيها أيضًا، رأينا الطعام يُقدّم: طعامٌ روحيّ لأرواحنا الجائعة.

وأعطي لنا أيضًا فيها مذبح البخور الذي سنتأمّل فيه الآن. لاحظ شِمع، الفتى اليهوديّ، أنّ الكاهن كان

يدخل إلى خيمة الاجتماع مرّتين في اليوم على الأقلّ.

رأى شِمَع أنّهم يحملون معهم وعاءً يحتوي على فحم مشتعل أخذوه من المذبح النحاسيّ. لكنّهم كانوا يحملون أيضًا وعاءً آخر داخل الخيمة. تساءل عمّا يكون هذا الوعاء، وما الذي كانوا يفعلونه. هذا ما أخبره به الكاهن حين سأل: "يا صديقي شمع، لي الشرف أن أدخل مرّتين في الى القُدس. أوّلًا، عليّ أن أقصّ فتائل المنارة حتّى يبقى النور مُشعًّا ونقيًّا. لكن لي أيضًا الشرف العظيم أن أعمل على المذبح الذهبيّ. هذا المذبح موضوع مباشرة أمام الستار المؤدّي إلى قدس الأقداس. وللقيام بذلك، كان عليّ أن آخذ بعض الفحم المشتعل من مذبح المحرقة كما تراني آخذه الآن في وعاء صغير. إن لم أفعل ذلك، يا ابني، سيحدث لي ما حدث لابنَيْ هارون، ناداب وأبيهو. سيُحرقني مجدُ الله بسبب عدم إظهاري الوقار له."

سأله شِمع: "كيف يبدو هذا المذبح؟ هل هو كبير مثل الذي في الخارج؟» "لا، سيخيب ظنّك يا شِمَع، لكن مذبح البخور هو في الحقيقة أصغر قطعة أثاث في كلّ الخيمة. هو لا يتجاوز نصف متر مربع، وارتفاعه متر واحد. ولكن هذا المذبح مصنوع أيضًا مثل غيره، من خشب السنط، كالمذبح الخارجيّ، إلا أنّه مُغطّى بالذهب الخالص. وحافته العلوية مثل مائدة خبز الوجوه، لها حافة ذهبية تبدو كإكليل. وكالمذبح الخارجي، يوجد أيضًا قرن على كلّ زاوية من هذا المذبح. وبما أنّ هذا المذبح يحتاج أن يُحمَل أثناء السفر، فهو مزوّد بحلقات على الجوانب، وفيها عَصَوان مغطّيان بالذهب، لنتمكّن من رفعه ووضعه على أكتافنا. لكن يا شِمَع، تذكّر، مع أنّ هذا المذبح صغير، فهو ليس أقلّ أهميّة. العمل الذي أقوم به كلَّ يوم حوالي الساعة التاسعة صباحًا والثالثة بعد الظهر غنيّ بالمعاني. أوّلًا، أضع الوعاء الذي فيه الجمر المشتعل على المذبح، ثمّ أرشّ عليه البخور. وهل تعلم أنّ البخور مصنوع بالضبط كما طلبه الله؟ وهل تعلم أنّه لا يُسمح لأحد أن يستخدم هذا البخور في بيوتهم، أو كعطر على أجسادهم؟ لقد قال الربّ لنا بوضوح شديد: "كلّ من صنع مثله ليشمّه، يُقطع من شعبه." إنّه مُخصّص لهذا المذبح فقط."

"بعد أن أضعَ البخورَ على الجمر، تمتلئ الخيمة مباشرة بأطيب رائحة عذبة وعجيبة. كُلّ هذه الروائح القويّة التي نشمّها هنا في الخارج تختفي هناك. إنّه حقًّا جوٌّ سماويّ داخل القُدس. ولا يملأ القُدس فقط، لا، بل إنّ العبير يدخل أيضًا إلى قدس الأقداس، عبر الحجاب، أي الستار."

"وبينما يرتفع البخور العطر، عندي امتياز لعملٍ آخر. لي الامتياز والواجب المقدّس أن أصلّي، ككاهن شفيع. وأتضرّع إلى الربّ من أجل أمّتنا، ومن أجل شعبنا، ومن أجلك أنت يا شِمَع، ومن أجلي أنا أيضًا. وترتفع صلاتي مع البخور أمام عرش الله. يا شِمع، تعجز الكلمات عن وصف الإحساس بحضور الله الذي قد نختبره أحيانًا حين نخدم داخل تلك الجدران المقدّسة. وإلى جانب هاتين المرّتين، صباحًا ومساءً، علينا أيضًا أن نضعَ البخور على المذبح كلّما بدّلنا الخبز، أو عندما نعمل على المنارة. فقد أمر الله أن نكون دائمًا مُحاطون برائحة البخور حين نعمل داخل بناء المسكن."

"وعندما أنتهي من ذبيحة الصباح والمساء، عندي عملٌ مُهمّ آخر أقوم به. لا بدّ أنّك رأيتَه. نحن الكهنة، نخرج من الخيمة، ونسير نحو الباب، وهناك، باسم يهوه، يجوز لي أن أُعلِن البركة الكهنوتيّة." كما هو مذكور في سفر العدد ٦: ٢٤-٢٦: "يُبَارِكُكَ ٱلرَّبُّ وَيَحْرُسُكَ. يُضِيءُ ٱلرَّبُّ بِوَجْهِهِ عَلَيْكَ وَيَرْحَمُكَ. يَرْفَعُ ٱلرَّبُّ وَجْهَهُ عَلَيْكَ وَيَمْنَحُكَ سَلَامًا."

إذًا، أخبر الكاهنُ شِمَع عن خدمة مذبح البخور. لنتأمّل الآن في بعض الدروس الروحيّة العميقة والكتابيّة التي يصوّرها الله لنا في هذا المذبح وخدمة الكهنة عنده. أصدقائي، إنّ الله لا يكلّ من أن يوجّه أنظارنا في كلّ تفصيل إلى مجد ابنه الحبيب، يسوع المسيح. وكما رأينا من قبل، فإنّ معنى الخشب المغشّى بالذهب، والإكليل المحيط بأعلى المذبح، والقرون الأربعة كما في المذبح الآخر في الخارج، فهنا أيضًا كلّ زاوية من هذا المذبح تشير إلى أوجه مختلفة من مجد المسيح. لكن مذبح البخور له وظيفة مميّزة، وله أهميّة تُعلِنُ جانبًا أساسيًّا من خدمة المسيح العُظمى. فلننظر إذًا إلى هذا المذبح من ثلاث زوايا: أوّلًا، لماذا وُضِع هناك،

أمام الحجاب الداخلي مباشرة؟ ثانيًا، ما العلاقة بين المذبح النحاسيّ في الخارج والمذبح الذهبيّ في الداخل؟ وثالثًا، ما الذي يُرمَز إليه في هذا المذبح وكيفيّة استعماله؟

فلنبدأ إذًا بمكان المذبح. كان قائمًا أمام الحجاب المؤدّي إلى قدس الأقداس. وهناك، خلف الحجاب، يوجد ما نسمّيه بعرش الله. هذا الموضع لم يكن متاحًا للكاهن العادي، بل فقط لرئيس الكهنة مرّة واحدة في السنة، في يوم الكفّارة. لذلك، فإنّ أقرب نقطة يمكن أن يصلَ إليها الكاهن يوميًّا في خدمته لله، كانت عند مذبح البخور. ومن اللافت أنّ الله ختم وصفَ هذا المذبح بهذه الكلمات في خروج ٣٠: ١٠: "قُدسُ أقداسٍ هُوَ لِلرّبِّ." فبعد تابوت العهد، كان هذا المذبح أقدسَ قطعة أثاث في الخيمة. أوّلًا، لأنّه كان يُقرّب الكاهن إلى عرش الله أكثر من أيّ موضع آخر، وثانيًا، ليُظهِرَ أنّ وظيفة هذا المذبح ودلالَتَه الروحيّة أمرٌ أساسيّ وحيويّ لحياتنا الروحيّة. ودراستُنا اللاحقة ستُبيّن ذلك بوضوح.

ثانيًا، فلنتأمّل في العلاقة بين المذبحَين، الخارجي والداخلي. قد يُطرَح سؤال: لماذا الحاجة إلى مذبح ثانٍ؟ أَوَلم يكن المذبح الأوّل في الخارج كافيًا؟ من الواضح أنّه لا يوجد شيء بلا معنى أو فائضًا عن الحاجة في تصميم الله لخيمة الاجتماع. إذًا، يبقى لنا أن نكتشف ما هي العلاقة بين المذبحَين، وما هي الضرورة لوجودهما معًا. تعلّمنا أنّ مذبحَ النحاس والذبائح التي تُقدَّم عليه، هي رمز للربّ يسوع المسيح مصلوبًا. بكلام آخر، يُظهر لنا المذبح النحاسيّ المسيح في اتّضاعه وآلامه وموته. لذلك لم يكن لذلك المذبح إكليل، ولهذا أيضًا كان خارج الخيمة. كان رمزًا لكيف أنّ يسوع جُعل خطيّةً لأجلنا، وبذل نفسه عن كنيسته. أمّا المذبح الذي في الداخل فكان مزيَّنًا بإكليل عند حافّته، كما أنّه لم يكن يراه الشعب. إنّه يشير إذًا إلى يسوع في مجده، بعدما صعد إلى حضرة الله. إنّه يعمل ككاهن ممجَّد هناك، على أساس العمل الذي أكمله هنا على الأرض. أساس مذبح البخور كان مذبح المحرقة، وهذا يُصوَّر بالمطلب الإلهي بأن لا يُقدَّم البخور إلاّ على الجمر المأخوذ من مذبح النحاس. ومن هنا أيضًا نفهم سبب هلاك ابني هرون، عندما قدّما نارًا غريبة أمام الربّ. فالنار الغريبة كانت نارًا لم

تُؤخذ من مذبح المحرقة. والدرس لنا خالد عبر الأجيال: كل من يحاول أن يقتربَ إلى الله اعتمادًا على أعماله الخاصّة، أو على مشاعره، أو على خبراته الروحيّة، أو على مجهوداته، سيختبر غضب الله ورفضه. فالمسيح وحدُه، وبرُّه وحدُه، هو الذي فتح لنا الطريق إلى قلب الآب.

ثالثًا، إلى ماذا يرمز مذبح البخور؟ هذا المذبح والبخور يرمزان إلى عمل الشفاعة الذي يقوم به رئيس كهنتنا المصلّي، يسوع المسيح. فرائحة البخور الذكيّة تُشير إلى كمال المسيح، وإلى إنجازاته، واستحقاقاته، ونعمته، وطهارته، في كل ما صنعه ليحقّق المصالحة. كانت حياتُه كلُّها، وروحه، وجسده، رائحة طيّبة أمام الله. وأكثر ما يوضّحه هذا المذبح هو صلاة المسيح الشفاعيّة التي يرفعها إلى الله. وهذا يتوافق تمامًا مع ما صلّى به داود في المزمور ١٤١: ٢: "لِتَسْتَقِمْ صَلَاتِي كَٱلْبَخُورِ قُدَّامَكَ. لِيَكُنْ رَفْعُ يَدَيَّ كَذَبِيحَةٍ مَسَائِيَّةٍ." كما أنّنا نجد الدليل الثاني على هذا المعنى في رؤيا يوحنا ٨: ٣–٤: "وَجَاءَ مَلَاكٌ آخَرُ وَوَقَفَ عِنْدَ ٱلْمَذْبَحِ، وَمَعَهُ مِبْخَرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ، وَأُعْطِيَ بَخُورًا كَثِيرًا لِكَيْ يُقَدِّمَهُ مَعَ صَلَوَاتِ ٱلْقِدِّيسِينَ جَمِيعِهِمْ عَلَى مَذْبَحِ ٱلذَّهَبِ ٱلَّذِي أَمَامَ ٱلْعَرْشِ. ٤ فَصَعِدَ دُخَانُ ٱلْبَخُورِ مَعَ صَلَوَاتِ ٱلْقِدِّيسِينَ مِنْ يَدِ ٱلْمَلَاكِ أَمَامَ ٱللهِ."

في رسالة العبرانيين، التي تسمى أحيانًا "التفسير الإلهي لسفر اللاويين"، يتكرّر ذكرُ شفاعة يسوع كرئيس كهنة أعظم. مثلًا، نقرأ في عبرانيين 7: 24–25: "وَأَمَّا هَذَا... يَقْدِرُ أَنْ يُخَلِّصَ أَيْضًا إِلَى ٱلتَّمَامِ ٱلَّذِينَ يَتَقَدَّمُونَ بِهِ إِلَى ٱللهِ، إِذْ هُوَ حَيٌّ فِي كُلِّ حِينٍ لِيَشْفَعَ فِيهِمْ." ويضيف عبرانيين 9: 24: "لِأَنَّ ٱلْمَسِيحَ لَمْ يَدْخُلْ إِلَى أَقْدَاسٍ مَصْنُوعَةٍ بِيَدٍ أَشْبَاهِ ٱلْحَقِيقِيَّةِ، بَلْ إِلَى ٱلسَّمَاءِ عَيْنِهَا، لِيَظْهَرَ ٱلْآنَ أَمَامَ وَجْهِ ٱللهِ لِأَجْلِنَا."

أحبّائي، إنّ الربَّ يسوع، في مجده المعلن، يقوم نهارًا وليلًا بالجانب السماويّ من عمل الخلاص. فماذا يكون حال شعبه من دون الصلاة العظمى المُسجّلة في يوحنا 17؟ كما كانت رائحة البخور العَطِرة تبقى طوال النهار في القدس وقدس الأقداس، كذلك شفاعة يسوع العَطِرة من أجل الخطاة قائمة أبدًا أمام عرش الله. وهذه الحقائق توضّح لنا أكثر لماذا لم يكن يُسمح أبدًا للكاهن أن يدخلَ الخيمة لتنظيف المنارة أو ليغيّر الخبز من

غير أن يقدّم بخورًا على جمر مذبح البخور. فكلُّ ما نفعلُه ينبغي أن يكون مغمورًا برائحة الصلاة العَطرة المرفوعة باسم يسوع المسيح. إنّ صلواتِنا ليست مقبولة ولا طيّبة الرائحة إلّا إذا كانت مبنيّة على العمل الكامل الذي أتمّه المسيح، وحُملت إلى فوق في بخور رئيس الكهنة العظيم. ألسنا نكتشف بكل أسف، أنّ أفضل صلواتِنا ليست كبخور نقيّ؟ ألا تكون أنانيّة أحيانًا، أو بلا وقار، أو رسميّة باردة، أو مشتّتة الأفكار، أو ضعيفة المحبّة، أو مليئة بالشكوك؟ لذلك، وحدُها شفاعة يسوع المسيح، كرئيس الكهنة الأعظم، تجعل صلواتنا مقبولة أمام الله.

يا للتشجيع العظيم الذي نجده في تلك الحقيقة الثمينة المعلَنة في عبرانيين ٧، حيث يُعيدنا الوحي دائمًا إلى المخلّص، القادر أن يخلّص إلى التمام كلّ الذين يأتون إلى الله به. لماذا؟ لأنّ لنا رئيس كهنة قدّوس وبلا خطيّة وبلا دنس ومنفصل عن الخطاة، وجُعِل أعلى من السماوات. لم يكن بحاجة أن يقدّم ذبيحةً عن خطاياه، لأنّه كان بلا خطيّة، لكنّه قدّم نفسه ذبيحة مرّة واحدة وإلى الأبد عن خطايا شعبه. فيم حين لم يكن كهنة العهد القديم قادرون على الاقتراب إلى الله بدون الحجاب، صار لمؤمني العهد الجديد هذا الامتياز الممجَّد: أن يدخلوا وراء الحجاب، بفضل الطريق الجديد والحيّ الذي فتحه لهم المخلّص الممجَّد. اسمع كيف تشرح عبرانيين ١٠: ١٩–٢٢ هذا المجد: "فَإِذْ لَنَا أَيُّهَا ٱلْإِخْوَةُ ثِقَةٌ بِٱلدُّخُولِ إِلَى ٱلْأَقْدَاسِ بِدَمِ يَسُوعَ، طَرِيقًا كَرَّسَهُ لَنَا حَدِيثًا حَيًّا، بِٱلْحِجَابِ، أَيْ جَسَدِهِ، وَكَاهِنٌ عَظِيمٌ عَلَى بَيْتِ ٱللهِ، لِنَتَقَدَّمْ بِقَلْبٍ صَادِقٍ فِي يَقِينِ ٱلْإِيمَانِ، مَرْشُوشَةً قُلُوبُنَا مِنْ ضَمِيرٍ شِرِّيرٍ، وَمُغْتَسِلَةً أَجْسَادُنَا بِمَاءٍ نَقِيٍّ." هل ترى كيف يتجلّى غنى رموز خيمة الاجتماع بوضوح في هذا النصّ الكتابيّ. فبحسب خروج ٣٠: ٢٠، لم يكن يكفي أن يحمل الكاهن الجمر والبخور ليدخل إلى القُدس، بل كان عليه أيضًا أن يغتسل عند المرحضة: "عِنْدَ دُخُولِهِمْ إِلَى خَيْمَةِ ٱلِٱجْتِمَاعِ يَغْسِلُونَ بِمَاءٍ لِئَلَّا يَمُوتُوا، أَوْ عِنْدَ ٱقْتِرَابِهِمْ إِلَى ٱلْمَذْبَحِ لِلْخِدْمَةِ لِيُوقِدُوا وَقُودًا لِلرَّبِّ."وبالطريقة نفسها، عندما نُصلّي، ينبغي أن نتوبَ عن خطايانا، وأن نعترف بها، وأن نطلب الغسلَ بدم يسوع وخدمته. إن صلّينا من دون الاعتراف بخطايانا فسيُشبه

ذلك دخول الكاهن بأيدٍ وأقدام غير مغسولة إلى محضر قداسة جلالة يهوه.

أخيرًا يا أصدقائي، ما أروعَ توقيت الذبيحةِ الصباحيّة والمسائيّة. ففي كلِّ صباح عند الساعة التاسعة، ومساءً عند الساعة الثالثة، كان الكاهنُ المكلَّف يقدِّم الذبيحة. وهذه الأوقاتُ تزامنت تمامًا مع توقيتِ صَلبِ يسوع. ففي تلك اللحظة، عند التاسعةِ صباحًا، رفعَ صلاتَهُ الشفاعيّة الأولى على الصليب قائلًا: "يا أبتاه، اغفِر لهم، لأنهم لا يعلمون ما يفعلون." ثمّ عندَ المساءِ، حين أُكمِلَت الذبيحةُ المسائيّة، تزامن ذلك مع موتِ يسوع عند الساعة الثالثة. وعندما صرح: "قد أُكمِل" سلَّمَ روحه بين يدي أبيه وأسلم الروح. فجاء جوابُ الآب بشقّ الحجابِ الداخليّ من أعلى إلى أسفل، كما سجَّل متّى. لقد أُنجِز العملُ حقًا.

لقد انفتَحَ طريقُ المصالحةِ على أساسٍ عادلٍ ومقدَّس. والآن، يمكنُنا أن نقتربَ إلى الله بحُرّيّةٍ بدون حجاب. لماذا؟ لأنَّ شفيعَنا قد دخلَ هو نفسُه إلى ما وراء الحجاب ليفتحَ الطريقَ أمامنا. وقد كان هذا مُصوَّرًا بجمالٍ كاملٍ في يوم الكفّارة، كما تقرأ في لاويّين 16. ففي ذلك اليوم كان رئيسُ الكهنة يدخلُ إلى قدسِ الأقداس. وكان ذلك يرمز إلى صعودَ يسوع إلى السماء بدمِه، ومعه رائحةُ طاعته العطرة.

لكي نتخيّل هذه الحقيقةَ الكتابيّة، فإنّهُ فقط في يومِ الكفّارةِ السنوي، كان البخورُ يوضعُ داخلَ قدسِ الأقداس، كما هو مذكورٌ في لاويّين 16: 12. وهذا كان يرمز إلى دخولِ المسيح إلى المجدِ السماوي بعد إكمالِ ذبيحتِه على الصليب. وهذا أيضًا يشرحُ لنا المقطعَ الكتابيَّ الذي يُساءُ اقتباسُه أو قد يبدو مُربِكًا في رسالة العبرانيّين 9: 3–4، حيث يظهرُ في البداية وكأنّ الرسول قد أخطأ حين وصفَ قدسَ الأقداس، إذ كتب: "وَوَرَاءَ ٱلْحِجَابِ ٱلثَّانِي ٱلْمَسْكَنُ ٱلَّذِي يُقَالُ لَهُ: قُدْسُ ٱلْأَقْدَاسِ، فِيهِ مِبْخَرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ، وَتَابُوتُ ٱلْعَهْدِ." أخوتي، إنّ هذه الحقيقةَ هي لتعزيتِنا. فلنا شفيعٌ داخلَ الحجاب، وعلى أساسه يمكنُنا أن نقتربَ إلى الله بحُرّيّة. فلا يُهملْ أحدٌ منّا خلاصًا عظيمًا كهذا.

في الختام، تأمّلوا تركيبَ البخور المجيد. يُمكنك قراءة التفاصيل الدقيقة في خروج 30: 34. استُخدمت

أربعة مكوّنات، جميعها بالمقادير نفسها بالضبط. وكلُّ واحدٍ منها كان يُصوّر مجدّدًا عملَ المخلّص، سواء في تواضعه أو في مجده. لم يكن أيّ جزءٍ منها أهمّ أو أقلّ أهميةً في عمل المخلّص. أما الأجزاء الأربعة في حياة يسوع، فهي: أوّلًا، الحبل المبارك المقدّس به؛ وثانيًا، آلامه وموته؛ وثالثًا، قيامتُه؛ ورابعًا، صعودُه إلى السماء ليجلسَ عن يمين أبيه، والذي سيكملُه عند عودتِه ليدينَ الأحياء والأموات. وكلُّ هذه الجوانب من شخص ربّنا وخدمتِه لا تُقدّر بثمن ولا يمكن الاستغناء عنها لخلاص أيّ نفس. كما حذّر الله ألّا تُضاف أيّ مكوّناتٍ أخرى إلى هذا البخور، كذلك ينبغي أن ننتبه، ألّا نأتِ إلى الله بأي شيءٍ مضاف إلى ابنه وذبيحته. وصفةُ الله للخلاص هي المسيح وحده: قداسته الكاملة في ميلاده؛ وطاعته الكاملة في حياته؛ وطاعته الكاملة في موته؛ وعمله الكامل عن يمين أبيه. ليبارك الله هذه التعليمات بروحه، وليحفر حقائقه في قلوبنا. شكرًا لكم.